

عندما بدأ العقل الإنساني بالتفكير في الكون ونشأته، راح يطرح تفسيرات وتحليلات محاولاً من خلالها فهم ماهية هذا الكون، كانت الأساطير والاهوتيات الكهان والشعراء هي التي تتحدث عن نشأة الكون مبتعدة عن أي تفسيرٍ طبيعيٍ أو علمي للأشياء، أطلقت العقول تشرعياتها للتفكير في أبسط تفصيلات الحياة والكون والفن، بل والتفكير بالتفكير ذاته، والتي تعبّر عن نشأته وتربّيته وأخلاقه، ونظرته لمفاهيم وقيم الحق والخير والجمال. نشأت الفلسفة اليونانية وتأسست في القرن السادس قبل الميلاد، وعُدّت نقطة التحول الأولى في الفكر الفلسفـي بالنسبة لفلسفة الغرب، هل كان ثمة تأثيرٌ خارجيٌ على نشأة الفلسفة اليونانية؟ وفي صدد هذا التأثير. ومن المؤكـد أنـه أعطـاهـمـ العـدـيدـ منـ الأـفـكارـ الإـيـاهـيـةـ. لكنـهـ عـلـمـواـ أنـهـمـ التـفـكـيرـ فـيـ العـقـلـ وـالـنـاقـاشـ حولـ جـوـهـرـ ماـ وـرـاءـ الـأـشـيـاءـ". ولكنـ هـذـاـ وـحـدـهـ لاـ يـكـفـيـ لـانـطـلـاقـ الـحـرـيـةـ الـفـكـرـيـةـ، وـهـيـ ذـاتـهـ الـأـسـبـابـ الـتـيـ سـاعـدـتـ فـيـ قـيـامـ الـحـضـارـةـ الـإـغـرـيقـيـةـ، حـيـثـ أـنـ الـأـشـيـاءـ". الـأـنتـقـالـ الـكـبـيرـ مـنـ نـظـامـ الـحـكـمـ الـدـكـتـاتـورـيـ إـلـىـ الـنـظـامـ الـدـيمـقـراـطـيـ وـالـدـوـلـةـ الـمـدـنـيـةـ، وـمـنـاقـشـتـهاـ بـشـكـلـ عـلـىـ دـوـنـ خـوـفـ أـوـ حـرـجـ، مـعـ إـمـكـانـيـةـ إـجـرـاءـ الـحـوـارـاتـ وـالـمـنـاقـشـاتـ وـالـمـنـاقـشـاتـ الـفـكـرـيـةـ. كـمـاـ وـأـنـ التـحـوـلـ الـذـيـ طـرـأـ عـلـىـ الـمـجـتمـعـ وـنـقـلـهـ مـنـ النـمـطـ الـرـعـوـيـ وـالـزـرـاعـيـ إـلـىـ الـنـمـطـ الـتـجـارـيـ وـالـصـنـاعـيـ، كـالـتـجـارـ وـالـصـنـاعـيـنـ وـأـرـبـابـ الـحـرـفـ وـالـمـلـاـحـيـنـ الـكـبـارـ. نـتـجـ عـنـ هـذـاـ الـازـدـهـارـ الـاـقـتـصـاديـ رـخـاءـ مـالـيـ وـاجـتمـاعـيـ وـسيـاسـيـ وـفـكـرـيـ، وـزـيـادـةـ فـيـ مـظـاهـرـ الـغـنـىـ وـإـسـنـادـ مـخـلـفـ الـأـعـمـالـ إـلـىـ طـبـقـةـ الـعـبـيدـ، وـالـتـفـاثـاتـ بـقـيـةـ فـئـاتـ الـشـعـبـ الـإـغـرـيقـيـ عـمـومـاـ إـلـىـ الـفـنـونـ وـالـعـلـومـ وـالـسـيـاسـةـ. كـلـ ذـلـكـ سـاـهـمـ أـيـضـاـ فـيـ ظـهـورـ الـفـلـسـفـةـ. عـوـاـمـ وـلـادـةـ الـفـلـسـفـةـ الـيـونـانـيـةـ كـانـ لـلـحـرـيـةـ السـيـاسـيـةـ وـالـاـقـتـصـاديـ دـوـرـ كـبـيرـ فـيـ نـشـوـءـ الـفـلـسـفـةـ الـيـونـانـيـةـ وـلـكـنـهـاـ لـمـ تـكـنـ الرـكـيـزةـ الـأـسـاسـيـةـ، فـانـتـشـارـ الـعـلـومـ مـثـلـ الـرـياـضـيـاتـ وـالـفـلـكـ وـغـيـرـهـمـاـ، مـثـلـ الرـكـيـزةـ الـأـسـاسـيـةـ فـيـ ظـهـورـ الـفـلـسـفـةـ، فـالـفـلـاسـفـةـ أـنـفـسـهـمـ كـانـوـاـ فـيـ الـبـداـيـةـ عـلـمـاءـ فـيـ مـخـلـفـ الـمـجـالـاتـ. كـمـاـ وـأـنـ الـانـفـتـاحـ عـلـىـ ثـقـافـةـ الـحـضـارـاتـ الـأـخـرـىـ كـالـفـيـنـيـقـيـةـ وـالـبـاـبـلـيـةـ وـالـمـصـرـيـةـ، وـأـبـقـرـاطـ فـيـ الـطـبـ، وـأـنـتـعـشـ الـتـارـيـخـ عـلـىـ بـدـ هـيـرـوـدـوـتـ. الـمـرـحـلـةـ الـأـوـلـىـ: مـاـ قـبـلـ سـقـرـاطـ وـ"ـأـيـونـيـاـ"ـ هوـ الـأـسـمـ الـذـيـ كـانـ يـطـلـقـ عـلـىـ جـزـيـرـةـ تـقـعـ فـيـ بـحـرـ إـيـجـةـ بـيـنـ الـيـونـانـ وـتـرـكـيـاـ، وـتـمـيـزـ بـكـوـنـهـاـ مـهـدـ الـعـلـمـ وـالـفـلـسـفـةـ الـغـرـبـيـةـ. وـالـتـجـرـبـةـ الـعـلـمـيـةـ. وـأـنـكـسـيـمـاـنـسـ. وـهـمـ مـنـ الـعـلـمـاءـ الـمـادـيـنـ. مـ)ـ يـعـتـقـدـ أـنـ الـأـصـلـ هـوـ الـمـاءـ، مـ-ـ 546ـ قـ. مـ)ـ بـأـنـهـاـ "ـالـلـامـتـعـيـنـ"ـ، بـيـنـمـاـ اـقـتـرـنـ أـنـكـسـيـمـاـنـسـ أـنـ الـأـصـلـ الـكـوـنـ هـوـ الـهـوـاءـ. وـإـذـاـ مـاـ أـخـذـنـاـ بـرـأـيـ طـالـيـسـ فـيـ أـنـ الـأـصـلـ هـوـ الـمـاءـ، مـ)ـ 546ـ قـ. مـ)ـ فـيـ الـدـيـانـةـ الـتـوـحـيدـيـةـ الـأـوـلـىـ فـيـ مـصـرـ الـقـدـيمـةـ: "ـفـيـ الـبـدـءـ كـانـ الـمـحـيـطـ الـمـظـلـمـ أـوـ الـمـاءـ الـأـوـلـ، حـيـثـ كـانـ آـتـوـنـ وـحـدـهـ إـلـلـهـ الـأـوـلـ صـانـعـ الـآـلـهـةـ وـالـبـشـرـ وـالـأـشـيـاءـ". وـبـحـسـبـ مـاـ نـقـلـهـ إـلـيـنـاـ أـرـسـطـوـ عنـ طـالـيـسـ، فـقـدـ كـانـ تـعـرـيـفـهـ لـلـمـاءـ عـلـىـ أـنـهـ إـلـهـ؛ لـأـنـهـ يـعـتـقـدـ أـنـ كـلـ مـاـ هـوـ خـالـدـ فـهـوـ مـقـدـسـ أـوـ إـلـهـ، وـذـهـبـ طـالـيـسـ إـلـىـ أـبـعـدـ مـنـ ذـلـكـ، يـتـحـوـلـ إـلـىـ غـازـ إـذـاـ تـبـخـرـ، وـإـذـاـ تـجـمـدـ اـسـتـحـالـ صـلـبـاـ. الـاـخـتـالـفـ بـيـنـ طـالـيـسـ وـأـنـكـسـمـنـدـرـيـسـ حـوـلـ نـشـأـةـ الـمـادـةـ وـالـعـالـمـ الـحـيـ: الـجـافـ وـالـرـطـبـ، وـمـنـهـاـ أـتـىـ الـوـجـودـ، كـمـاـ أـنـهـ سـمـيـ هـذـاـ جـوـهـرـ بـ"ـالـلـامـتـنـاهـيـ"ـ أـوـ "ـالـلـامـتـعـيـنـ". وـقـدـ ذـهـبـ بـتـفـسـيرـاتـ أـخـرـىـ حـوـلـ أـصـلـ الـإـنـسـانـ سـبـقـتـ نـظـرـيـةـ التـطـوـرـ (ـالـنـشـوـءـ وـالـاـرـتـقاءـ)ـ لـ"ـتـشـارـلـزـ دـارـوـنـ"ـ بـنـحـوـ الـفـيـ عـامـ، الـهـوـاءـ أـصـلـ الـكـوـنـ: وـمـنـ الـهـوـاءـ الـلـانـهـائـيـ صـدـرـتـ جـمـيعـ الـمـوـجـودـاتـ، حـيـثـ أـنـ كـلـ شـيـءـ فـيـ تـغـيـيرـ، مـوـجـودـ بـذـاتهـ وـلـاـ يـحـتـاجـ فـيـ وـجـودـ لـغـيرـهـ، وـهـوـ مـصـدرـ الـعـنـاصـرـ الـأـخـرـىـ الـثـلـاثـ (ـالـمـاءـ، الـنـارـ، مـثـلـاـ). عـنـدـ ضـغـطـ الـهـوـاءـ يـتـشـكـلـ أـوـلـاـ الـمـاءـ، وـعـنـ زـيـادـةـ تـكـافـهـ وـضـغـطـهـ يـتـشـكـلـ الـتـرـابـ. وـحـوـلـ فـكـرـتـهـ فـيـ أـنـ الـهـوـاءـ هـوـ إـلـهـ بـذـاتهـ، يـقـولـ أـنـكـسـيـمـاـنـسـ: "ـالـخـالـقـ أـزـلـيـ لـأـوـلـ وـلـاـ آخرـ لـهـ وـلـاـ هـوـيـةـ تـشـبـهـهـ. هـوـ مـبـدـأـ الـأـشـيـاءـ الـوـاحـدـ، لـيـسـ كـوـاـحـدـ الـأـعـدـادـ". وـعـلـىـ هـذـهـ الرـكـيـزةـ نـشـأـتـ الـفـلـسـفـةـ الـيـونـانـيـةـ مـعـ حـكـماءـ الـطـبـيـعـةـ الـذـينـ بـحـثـوـاـ عـنـ الـعـلـيـةـ الـحـقـيقـيـةـ لـلـوـجـودـ الـذـيـ أـرـجـعـوهـ إـلـىـ أـصـلـ مـادـيـ، وـبـهـذـاـ تـمـ وـضـعـ أـسـسـ الـفـلـسـفـةـ الـنـظـرـيـةـ لـهـذـاـ الـفـكـرـ الـجـدـيدـ، مـ-~420ـقـ. الـذـينـ سـخـرـوـاـ مـنـ الـاـهـتـمـامـ بـالـقـضـاـيـاـ الـمـيـتـافـيـزـيـقـيـةـ (ـالـدـيـنـيـةـ/ـالـأـسـطـوـرـيـةـ)ـ وـرـكـزـوـاـ اـهـتـمـامـهـمـ عـلـىـ الـسـيـاسـةـ وـالـفـصـاحـةـ وـالـنـجـاحـ الـدـنـيـوـيـ، وـأـصـبـحـ مـعـيـارـ الـحـقـ وـالـعـدـلـ لـدـيـهـمـ مـرـتـبـ بـمـدـىـ قـدـرـةـ الـإـنـسـانـ عـلـىـ الـمـنـاظـرـةـ وـالـجـدـلـ وـالـمـوـاهـبـ الـخـطـابـيـةـ فـيـ إـقنـاعـ الـجـمـاهـيرـ. وـقـدـ شـكـكـوـاـ فـيـ إـمـكـانـيـةـ تـحـصـيلـ الـمـعـرـفـةـ، هـيـ: وـاـخـتـلـفـوـ حـوـلـ كـوـنـ الـحـوـاسـ وـالـعـقـلـ مـصـادرـ مـوـثـوقـةـ لـلـمـعـرـفـةـ، وـهـكـذـاـ يـمـتـنـعـوـنـ عـنـ الـجـزـمـ بـأـيـ شـيـءـ. الـعـنـادـيـةـ: هـمـ الـذـينـ يـقـولـوـنـ إـنـ أـيـ قـضـيـةـ بـدـهـيـةـ أـوـ نـظـرـيـةـ لـاـ بـدـأـنـ مـنـ وـجـودـ مـاـ يـعـارـضـهـ، فـكـانـوـنـ يـجـزـمـونـ بـأـنـهـ لـاـ تـوـجـدـ حـقـائـقـ فـيـ الـكـوـنـ. فـمـاـ يـرـاهـ أـيـ شـخـصـ عـلـىـ أـنـهـ مـوـجـودـ، فـهـوـ مـوـجـودـ عـنـدـهـ فـقـطـ، وـمـعـ أـنـ النـزـعـةـ الشـكـيـةـ اـنـتـشـرـتـ فـيـ الـيـونـانـ وـكـادـتـ أـنـ تـخـرـبـ الـعـقـولـ، إـلـاـ أـنـ الـفـيـلـيـسـوـفـ سـقـرـاطـ تـمـكـنـ مـنـ الـرـدـ عـلـيـهـمـ وـتـسـخـيفـ مـنـهـجـهـمـ بـالـشـكـ الـذـيـ يـنـفـيـ الـيـقـيـنـ وـيـجـعـلـ الـمـعـرـفـةـ أـمـرـاـ مـسـتـحـيـلـاـ، الـمـرـحـلـةـ الـثـانـيـةـ: سـقـرـاطـ وـالـبـحـثـ عـنـ الـحـقـيـقـةـ الـدـاخـلـيـةـ لـلـإـنـسـانـ مـ)ـ بـفـلـسـفـةـ الـجـدـيدـةـ الـتـيـ

جاءت مناقضة تماماً للمرحلة السابقة، حيث انتهـج منهاجاً جديداً في البحث والفلسفة، وكانت إحدى دعواته البحث عن الحقيقة الداخلية للإنسان، ومن أشهر أقواله في هذا الموضوع: "اعرف نفسك بنفسك". فاكتشف سقراط أنَّ الإنسان يعلن امتلاكه للمعرفة، من دون إدراكه للجهل الذي يمتلكه في الحقيقة، وهنا كانت شهرة أسلوبه القائم على الجدال والتهكم؛ حيث كان يذهب إلى السوق ويناقش المارِين هناك في موضوعات عميقة كالحياة والموت؛ وذلك عن طريق طرحة أسئلة يدعى بأنه لا يعلم شيئاً عنها، والاعتدال، والعدالة. وليس بالضرورة من يتم انتخابهم